تفسير إبن كثير

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

يخبر تعالى إخبارا عاما يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ، كقوله : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون ، وكذلك الملائكة وحملة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء ، فيكون آخرا كما كان أولا .وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس ، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت ، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر االله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية - أقام االله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها ، كثيرها وقليلها ، كبيرها وصغيرها ، فلا يظلم أحدا مثقال ذرة ، ولهذا قال : (وإنما توفون أجوركم يوم القيامة)قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز الأويسي ، حدثنا علي بن أبي علي اللهبي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب ، رضي االله عنه ، قال : لما توفي النبي صلى االله عليه

وسلم وجاءت التعزية ، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة االله وبركاته) كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) إن في االله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ، فباالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة االله وبركاته . قال جعفر بن محمد : فأخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر ، عليه السلام .وقوله : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) أي : من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة ، فقد فاز كل الفوز .قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عبد االله الأنصاري ، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة [رضي االله عنه] قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا إن شئتم : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) .هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة ، وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث محمد بن عمرو هذا . ورواه ابن مردويه [أيضا] من وجه آخر

فقال :حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، أنبأنا حميد بن مسعدة ، أنبأنا عمرو بن علي ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها " . قال : ثم تلا هذه الآية : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)وتقدم عند قوله تعالى : (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ما رواه الإمام أحمد ، عن وكيع عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، عن عبد االله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " من أحب أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة ، فلتدركه منيته وهو يؤمن باالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه "

.وقوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) تصغيرا لشأن الدنيا ، وتحقيرا لأمرها ، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة ، كما قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) [الأعلى : 16 ، 17] [وقال تعالى : (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) [الرعد : 26] وقال تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند االله باق]) [النحل : 96] . وقال تعالى : (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند االله خير وأبقى) [القصص : 60]

وفي الحديث : " واالله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم إصبعه في اليم ، فلينظر بم ترجع إليه ؟ " .وقال قتادة في قوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) هي متاع ، هي متاع ، متروكة ، أوشكت - واالله الذي لا إله إلا هو - أن تضمحل عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة االله إن استطعتم ، ولا قوة إلا باالله .